[425] بالنوافل وضيع باقي أوقاته في المباحات ولذاتها وأظلم قلبه بزهرات الدنيا وشهواتها بعد عن المولى بعبادة الهوى، ولم تصف الفرائض له في وقت الأداء ونقصت عن حد الكمال وفاته كمال التقرب والتحبب بخلاف ما إذا اشتغل بالنوافل فإنه يوجب كمال الفرائض وزيادة القرب ودوام التحبب، وهكذا حتى يبلغ مرتبة كمال المحبة فلا يحب إلا ا، وا عز وجل يحبه. ومعنى محبة ا تعالى للعبد كما ذكره شيخ العارفين في الأربعين هو كشف الحجاب عن قلبه وتمكينه من أن يطأ على بساط قربه فإن ما يوصف به سبحانه إنما يؤخذ باعتبار الغايات لا باعتبار المبادي وعلامة حبه سبحانه للعبد توفيقه للتجافي عن دار الغرور، والترقي إلى عالم النور، والأنس با والوحشة مما سواه وصيرورة جميع الهموم هما واحدا انتهى. وفي قوله " إلي " في الموضعين حيث لم يقل إلى جنتي ولا إلى ثوابي وكرامتي ولا إلى بري به وصلتي دلالة واضحة على أنه ينبغي للسالك العابد أن يقصد بعبادته ذاته عز وجل لا عوضا عليها ولا جزاء فإن العوض والجزاء غيره تعالى ومن كانت عبادته للأغيار لم تصف محبته للولي الجبار. كما قيل لن يصل العبد إلى حقيقة الحرية وقد بقي عليه من غير ا بقية. ثم أشار إلى شرف منزلة المحبة وبعض آثارها بقوله: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته) ليس المراد ما يفيده ظاهر (1) هذه العبارة من

_____ 1 - قوله " ليس المراد ما يفيده ظاهر " لأن العبارة إذا دلت على معنى مستحيل لا يليق أن يتفوه المتكلم بها أو كان في سائر عباراته وكلامه ما ينافيه فلابد أن يكون مراده بالعبارة الأولى معنى غير مستحيل يصح العبارة عنه بتلك العبارة واتحاد الاثنين معنى مستحيل لا يمكن أن يلتزم به عاقل، وقد حكى ابن سينا عن عوام الصوفية وأبطل القول به في النمط السابع من الإشارات وصرح أعاظم الصوفية وعلمائهم بأن مرادهم بالاتحاد ليس ما يتبادر إلى أذهان الأكثرين وفي أبيات الشبستري: تعين بود كز هستي جدا شد * نه أو بنده نه بنده خود خدا شد وفي كلام محيي الدين ابن عربي وهو من أشد المصرين على الاتحاد تصريحات كثيرة بتحقق الكثرة في التعينات أي الممكنات تجعل قرينة على أن مراده بالاتحاد غير ما توهمه عوام الصوفية على ما نقل، وكلامه في الاتحاد ممزوج مع الحكم بالتعدد وفي الفص الابراهيمي بشرح القيصري: " فالحكم لك بلا شك في وجود الحق وذلك لأن وجود الحق من حيث هو هو واحد لا تعدد فيه فالتعدد والتنوع والاختلاف من أحكام مرايا الاعيان في الوجود الحقاني ". ثم قال: " إن ثبت أنك موجود أي بالوجود الفائض عليك من

الحق تعالى فالحكم لك بلا شك " وأمثال ذلك كثيرة جدا في كلامه في كتبه فثبت أن الاتحاد المتوهم ليس مذهبا لعرفائهم وحكمائهم وعلمائهم وأن ما تفوهوا به ليس إلا عبارة عن معنى صريح نظير ما ذكره الشارح وغيره من العلماء في تفسير هذا الحديث وأمثاله، وما يقال أن ظاهر كلامهم الاتحاد وهم مأخوذون بالظاهر، قلنا: الظاهر حجة = (*)
